

نعمة التسخير

ثم إنه - سبحانه - امتن عليه بأن سخر له ما يحتاج إليه؛ فسخر له الأنعام؛ قال تعالى: { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا } خلقها وسخرها؛ سخر له هذه البهائم: الإبل والبقرة والغنم، ينتفع بها، يشرب من ألبانها، ويأكل من لحومها، ويركبها عند الحاجة، ويلبس من أصوافها وأوبارها وأشعارها، ولو شاء لما سخرها، لو شاء لهربت منه كما تهرب الوحوش؛ ولكن الله تعالى أنعم عليه فقال الله تعالى: { وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ } أي: سخرناها وجعلناها مذللة، كذلك - أيضاً - سخر بقية الدواب لينتفع بها، وهكذا - أيضاً - سخر له المخلوقات العلوية، يقول الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا } جعل فيه لَحْمًا طَرِيًّا: لحم الأسماك { وَتَسَخَّرُجُوا مِنْهُ جَلِيَّةً تَلْبَسُوهَا } ؛ تستخرجون منه الجواهر واللائي ونحو ذلك تتجملون بها، فهذا أيضاً من نعمته. وكذلك يقول: { وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ } أخبر بأنه سخر هذه الأرض، ومدّها لنا، ومدّها وسخرها وجعلها رخاء؛ جعلها تنبت، لو كانت هذه الأرض كلها حجراً ما انتفع بها، وكذلك لو كانت كلها ذهباً أو كلها فضة لهلك الناس؛ من أين يأكلون؟ ولكنه جعلها رخاء؛ تنبت النبات: فتنبت النخيل، وتنبت الأزهار، وتنبت الحبوب، وتنبت الثمار، وتنبت المأكولات التي يتغذون بها، وفيها أيضاً هذه الجبال التي يكون فيها ظل، وفيها كهوف يُستظل بها، يقول الله تعالى: { وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } ؛ فكل ذلك من فضل الله - سبحانه وتعالى - ومن تيسيره لعباده.